مقدمات عشر في التعليق على رسالة:

(حوار بين مؤمن وملحد)

للعلامة/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -

لفضيلة الشيخ:

د. عبدالعزيز الريس

1441هـ

الفهرس

مقدمة الشارح ١

مقدمات قبل البدء في شرح الرسالة ٢

المقدمة الأولى: أقسام الإلحاد، وينبغي ألا يُجعل ظاهرة في بلاد المسلمين ٢

المقدمة الثانية: أدلة وجود الله ٥

المقدمة الثالثة: من طُرق الملاحدة في نشر دعوتهم، والرد عليها ٩

المقدمة الرابعة: محاولة الملاحدة إثبات عدم وجود شيء يقيني ١٨

المقدمة الخامسة: حصر الملاحدة الإيمان بالماديات ٢٣

المقدمة السادسة: نظرية داروين ٢٤

المقدمة السابعة: التعليق على بعض اللقاءات مع الملاحدة ٢٦

المقدمة الثامنة: الغلو في العقل والثقة في النفس ٢٨

المقدمة التاسعة: من أسباب الإلحاد: الاضطراب في الإيمان بالقدر ٣١

المقدمة العاشرة: علاج الإلحاد ٣٥

بداءة التعليق على المتن ٤٢

الجانب المظلم في حضارة الغرب الذي لا يُظهره المنبهرون بهم ٥٤

إعتراف بعض بنات المسلمين الهاربات للغرب ٥٨
الكِبر والعناد من أسباب عدم التوفيق لقبول الحق ٥٩
الجواب على من اعتقد أن الإسلام دين باطل بسبب ضعف المسلمين ٥٩
خاتمة: نصائح للموحدين فيما يخص الإلحاد ٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد طالعت تفريغًا لدورة علمية في شرح رسالة: **(حوار بين مؤمن وملحد)** للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى-، قام بإعداده بعض الإخوة، ووضعوا له فهرسًا، وأسميته:

«مقدمات عشر في التعليق على رسالة حوار بين مؤمن وملحد للعلامة ابن سعدي»

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

dr_alraies@

المشرف على موقع الإسلام العتيق

٢٩ / ٤ / ١٤٤١هـ

مقدمة:

هذه الرسالة رسالة مختصرة أَلَّفها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى- في صحيفتين أو ثلاث، وقبل البدء في التعليق على هذه الرسالة أُقدم بمقدمات:

المقدمة الأولى:

الإلحاد، والمراد به في كلام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله تعالى- وكما هو شائع ومعروف: هو الكفر بالله، أي إنكار وجود الله، وإنكار الأديان.

فإذا قيل: فلان ملحد، أي هو يُنكر وجود الله ويُنكر الأديان، وهذا الإلحاد هو من حيث الجملة قسمان:

- **القسم الأول**: أن يكون الرجل في ابتداء حياته ملحدًا، ينشأ ملحدًا ويستمر على إلحاده، أو يكون نصرانيًا ثم ينتقل إلى الإلحاد، وهذا كثير، بل كثير من الدول الشيوعية انقلبت من كونها نصرانية إلى كونها ملحدة، وكذلك كثير من الأوربيين والغربيين الأمريكان وغيرهم انتقلوا من كونهم نصارى إلى كونهم ملحدين.
- **القسم الثاني**: أن ينقلب الرجل من كونه مسلمًا إلى كونه ملحدًا، هذا ولله الحمد قليل للغاية، ولا يصح أن يُوصف بأنه ظاهرة، لأنه نادر وقليل في المسلمين ولله الحمد.

فلذا في ظني -والله أعلم- أنه لا ينبغي أن يُشاع ذكر الإلحاد بين المسلمين، وإن كان موجودًا لكنه قليل، فإن من الأخطاء شرعًا أن يُشاع المنكر، فإن في إشاعته تهوينًا وتسهيلًا له، حتى يُستمرأ، وإشاعة المنكر داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

فالمنكرات لا تُنشر ولا تُشاع، فما بالكم في مثل الإلحاد الذي هو نادر وقليل في الغالب في حصوله ممن كان مسلمًا، لذا ينبغي ألا يُشاع ولا يُنشر، وفي ظني -والله أعلم- لا ينبغي أن تظهر مؤسسات في بلاد المسلمين لاسيما في دولة التوحيد السعودية في محاربة الإلحاد بمعنى محاربة إلحاد المسلمين، وأؤكد أن هذا موجود لكنه قليل للغاية.

بل رأيت بعضهم يزعم أنه ملحد أو يُشار إليه بأنه ملحد وهو في الحقيقة مصاب بمرض نفسي، ما بين عين أو غير ذلك.

فأنا لا أُنكر وجود الإلحاد لكنه ولله الحمد قليل، فلا ينبغي أن يُشاع حتى يُظن أنه ظاهرة.

فإن قيل: إذا كان كذلك فلم تُعقد بعض الدروس في محاربة الإلحاد؟

يقال: يُحارب الإلحاد لأنه أمر شائع في بلاد الكفار كأوربا وروسيا وغير ذلك، فلابد أن يعرفه المسلمون، فلو قُدر أن مسلمًا ابتُلي بمثل هؤلاء فيكون على حيطة وحذر، هذا أولًا.

ثانيًا: ليستطيع المسلم دعوتهم، فقد يسر الله بكرمه مقابلة جمع من هؤلاء في بعض الدول الأوربية المستقلة من روسيا، وكان كثير منهم ملحدًا، وأسلم ولله الحمد كل من جرى معه نقاش، بل إنني رأيت القوم هناك ما بين ملحدين ونصارى، والملحد سريع الإسلام، أما النصراني يتأخر قليلًا.

لأن الملحد كالإناء الفارغ، أما النصراني كالإناء المتسخ فيحتاج أن يُنظف أولًا ثم يُستفاد منه، فلله الحمد الإلحاد أمره سهل وضعفه وبطلانه جلي للغاية، لكن حبذا أن يكون المسلم مطلعًا على ما عند هؤلاء وعلى معرفة شبههم والجواب عليها، لاسيما قد خرج بين المسلمين من يُظهر محاربة الإلحاد وهو من أقوى الناس في تمكين الإلحاد.

بل لما أُجريت لقاءات ومقابلات مع كثير ممن ألحد من المسلمين، كان سبب إلحاده مطالعته واستماعه لأمثال هؤلاء كما ستأتي الإشارة إليهم -إن شاء الله تعالى-.

فإذن الخلاصة: دراسة الإلحاد وكيفية الرد عليهم مطلب، وهو منتشر في بلاد الغرب وأمريكا وأوربا، وهو ولله الحمد نزر قليل لا ينبغي أن يُجعل ظاهرة، ولا أن

يُصعَّد من أمره، وإن كان يوجد ويُجتهد في علاج كل شيء يقع في بلاد المسلمين مما يُخالف شرع الله رب العالمين سبحانه وتعالى.

المقدمة الثانية:

إن أدلة وجود الله كثيرة للغاية، كما قال أبو العتاهية:

وفي كـل شـيءٍ لـه آيـة ... تـدل عـلى أنـه واحـد

وهذه الأدلة لو أردت أن تستقرئها من كتاب الله فحسب وجدتها كثيرة للغاية، وسأذكر بعض هذه الأدلة، وأستنبط هذه الأدلة من آيات القرآن، وقد يقال: كيف يُناقش الملحد بدلالة القرآن؟

يقال: ربنا سبحانه وتعالى ناقشهم بالعقل، فنحن نستفيد من هذه الأدلة دلالتها العقلية على أن الله موجود سبحانه وتعالى، فلو أنك قابلت ملحدًا فأردت أن تستدل عليه بدليل عقلي في رد إلحاده وبيان بطلانه، قد تأتي بآية ليس في إيرادها عليها وإنما في استنباط دلالتها في محاجته، هذا أولًا.

ثانيًا: مثل هذا يصلح فيمن تريد أن تُثبت له دلالة أن وجود الله موجودة في القرآن، فيزداد يقينًا على أن القرآن حق.

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، هذه الآية توارد العلماء على ذكرها دليلًا من أدلة السبر والتقسيم، وذلك أن الآية جعلت الخالقين أقسامًا ثلاثة:

- **الأمر الأول**: أن يخلق نفسه.
- **الأمر الثاني**: أن يُخلق صدفة.
- **الأمر الثالث**: أن يخلقه الله.

فإذن التقسيم ثلاثي، وهذا هو دليل السبر والتقسيم.

أما أن يخلق نفسه فأوضح دليل في بطلانه أن يُقال: لا يمكن لأحد أن يخلق نفسه لأنه كيف يكون خالقًا ثم يكون مخلوقًا، وهذا يلزم منه الدور والتناقض، فهو ساقط.

أما أن يُقال إنه خُلق صدفة، فهذا لا يُمكن لما في خلق الله من الإتقان وغير ذلك، فلم يبق إلا أن الله قد خلقه سبحانه.

هذا المعنى إذا استنبطته واستقرأته من القرآن وأردت أن تناظر ملحدًا ناظره بدلالته ولا يشترط أن تُورد عليه الآية.

الدليل الثاني: إتقان خلق الله، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [البلد: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

إن من تأمل حسن خلق الإنسان فضلًا عن خلق المخلوقات العظيمة تبيَّن له أن هذا الخلق لم يأتِ عبثًا، فإتقان الصنعة دليل على إتقان الصانع، فالإنسان فيه من حسن الخِلقة ما الله به عليم.

فتأمل في العينين وفي مكان العينين، لك أن تتخيل أن العينين في غير هذا المكان بأن تكون الأولى في الجهة اليمنى والثانية في الجهة اليسرى، كيف يستطيع أن يمشي الإنسان؟ سيضطر أن يمشي في جهة واحدة ثم سيكون اتساع بصره ونظره ضيقًا.

بل هذا الشعر الذي تراه في كل أصل شعرة مادة دهنية، وإذا يبست هذه المادة الدهنية تساقط هذا الشعر، لذلك لو نتفت شعرة لوجدت في أصلها مادة دهنية، وهكذا في خلق الله العظيم في الإنسان فكيف بغيره من المخلوقات العظيمة.

ثم لو قرأت وظائف الكلى وما الذي تفعله الكلى في دقيقة، ما الذي يُعادله حتى يصنع صنع هذه الكلى من المعدات والأجهزة، وغير هذا من الشيء الكثير، وهذا لا يمكن أن يكون صدفة، بل لابد أن له خالقًا متقنًا.

وأذكر لما كنت مع الشيخ حمد العتيق نُقابل هؤلاء الذين يُنكرون وجود الله في أوربا الشرقية المستقلة من روسيا، وكنت أخاطبهم بخطاب سهل، وقلت: هل يُمكن أن تتصوروا أن رجلًا يريد أن يسافر فجلس على شاطئ نهر، ثم جاءت خشبة مع خشبة ثم جاء حبل حتى تكوَّن قارب، ثم نصعد هذا القارب فننتقل إليكم؟ قالوا: لا يمكن.

وأصل هذه المناظرة من كلام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى-، فإذن إذا لم يُصدق هذا في القارب ففي هذا الخلق العظيم من باب أولى.

لذا كان يُخرج معهم بنتيجة وهو أن لهذا الخلق من شيء عظيم عقله -وهذا من باب التقريب معهم- عقله أكبر من عقول باقي الخلق، فقلت لهم: هذا نسميه الله عز وجل، ثم بعد ذلك تشرح لهم ما تريد.

إذن إتقان هذا الخلق حجة عظيمة في إثبات أن لهذا الكون خالقًا وهو رد عظيم على الملاحدة.

الدليل الثالث: قال موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، هذا حاج به موسى -عليه السلام- فرعون لما أراد أن يُنكر وجود الله، وهذه آية عظيمة في إثبات خلق الله، وهو أنه هدى كل مخلوق لما يصلح له، وتأمل للشمس وكيف قد هداها تسير بحيث أنها لا تصطدم بغيرها، ثم تأمل للقمر وكيف قد هداه يسير في سير لا يصطدم بغيره.

ثم تأمل كيف هدى الريح وهدى كل ما ترى من المخلوقات، بل إنك ترى بعض الحيوانات تكون في بيضة، ثم يخرج هذا الحيوان من البيضة فيتجه إلى مكان معيشته كأنه قد عُلم ودُرس في بيضته، وصدق الله ربا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى سبحانه وتعالى.

وفيه أيضًا أن خلق الله حسن وقد تقدم الكلام عليه.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، إن مما يدل على أن لهذا الكون خالقًا أنه لو قيل بأنه ليس له خالق وأن هذا الكون ينتهي إلى لا شيء، فإذن للزم عليه أن يكون الخلق مخلوقين عبثًا، وهذا لا يليق بحكمة الله، لأنه لابد أن في خلق الله من أحسن وأن منهم من أساء، ولابد أن منهم من يُرغَّب في الإحسان، ولابد منهم من يُرهَّب في الإساءة.

فلو قيل إن الجميع سينتهي إلى لا شيء، للزم من ذلك العبث، لذا لابد أن ينتهوا إلى شيء يجعلهم يُحسنون معيشتهم في الحياة، ويجعل بعضهم يتمايز عن بعض، وهذا من أعظم الأدلة على أن لهذا الكون خالقًا وهو الله سبحانه وتعالى.

إلى غير ذلك من الأدلة ولا أحب أن أطيل في ذكرها، لكن دلالة وجود الله وأنه خالق لهذا الخلق كثيرة للغاية، وما تقدم كافٍ ومنه إتقان الخلق كما تقدم بيانه.

المقدمة الثالثة:

من أقوى طرق الملاحدة في هذا الزمن إثارة الشك والغلو في الشك، وهذا قد رأيته عند بعض من ينتسب للإسلام ممن يريد أن يُحارب الملاحدة وهو يُقرر مثل هذا، يقول: أولًا لابد أن تشك، بل إن هذا الرجل تكلم عن نفسه وقال: أنا أشك كل يوم، أو ما بين حين وآخر، ثم بعد ذلك أورد الأدلة على صحة ما أنا عليه.

فمن رأى الكلام في ظاهره ظن هذا الكلام حسنًا وهو من أبطل الكلام، وهذا الكلام له ارتباط بمذهب المتكلمين وهو أن أول واجب على المكلف هو النظر،

ومنهم من قال: الطريق إلى النظر، ومنهم من قال: الشك. كما ستأتي الإشارة إليه -إن شاء الله تعالى-.

وأرجو أن يُتنبه لمثل هذا وأن يُعلم بطلانه عقلًا ثم شرعًا، ولم أؤخر شرعًا لتأخر منزلته، وإنما المفترض أن الحديث مع قوم لا يُقرون بكتاب الله وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وهم يقولون: كيف تستطيع أن تستيقن إيمانك وأنك على حق؟ فلابد أن تشك ثم ترجع للتدليل على إيمانك ودينك.

ثم الرد على هؤلاء عقلًا من أوجه:

- **الوجه الأول**: من سافر قاصدًا مدينة أو من خرج من بيته متجهًا إلى بيت أحد، ثم وصل إلى هذا البيت أو وصل إلى هذه المدينة وهو الآن يعرف أنه وصلها، فيقال له: لا يمكن أن تتيقن وصولك حتى تشك، فالآن شُك في وصولك لهذه المدينة ثم ارجع مرة أخرى.

وهذا لا يصح عقلًا، لأن المقصد من اليقين أن يحصل لك المراد وقد حصل، فلماذا تريد أن أرجع إلى الوراء وأنا قد تقدمت؟ فلذلك إذا اهتدى المرء للإسلام لا يُقال له: حتى تتيقن إسلامك شُك في إسلامك ثم ارجع مرة أخرى، ومثله كما تقدم كمن وصل إلى دار يقصدها أو بلد سعى للسفر إليها

فلما وصل قيل له: شُك أنك قد وصلت للبلد التي أردتها ثم ارجع مرة أخرى، وهذا لا يصح عقلًا.

- **الوجه الثاني**: لو قُدر أنه رجع وشكَّ فقد لا يتيسر له الرجوع مرة أخرى لوجود مانع، فما أكثر الموانع التي تمنع الوصول، لذلك إذا أسلم الرجل وقيل له: شُك. قد لا يستطيع الرجوع للإسلام لأسباب كثيرة منها عقوبة الله له، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، فالمقصود أنه قد لا يرجع فلماذا يُخاطر؟ لماذا العاقل إذا أدرك شيئًا بيده يتركه؟

- **الوجه الثالث**: من وصل إلى هذا البيت أو وصل إلى هذه المدينة، ثم شكَّ ورجع قد لا يتيسر له الرجوع لأنه قد لا يهتدي الطريق، فكما قيل: ليس في كل مرة تسلم الجرة.

فإذن القول بأن الإنسان يشك هذا خطأ كبير وضلال عقلًا، وأؤكد ذلك ليُتصور عقلًا ما تقدم من المثال فيمن سافر إلى بلد بعيد، فلما وصل قيل له: أوصلت؟ قال: نعم، فقيل له: شُك في وصولك وارجع مرة أخرى.

لو قيل هذا لأحد لضحك جميع العقلاء، ومثل هذا يُقال فيما هو أشد وهو في الدين.

رجل أسلم واهتدى يقال له: حتى تتيقن إسلامك شُك ثم ارجع. فهذا مما لا يصح عقلًا بحال.

أما الرد عليهم شرعًا فمن أوجه:

- **الوجه الأول**: أن الشريعة ذمت الشك، وذمت الحيرة، لأن الشك طريق إلى الحيرة، كما قال تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١]، فالشريعة تذم الشك وتذم الحيرة، كما بيَّن هذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

وقد ذكر القرافي في ثنايا كلام له أن الشكوك والاعتراضات والشبهات، فهذا الشك علم. فرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في (مجموع الفتاوى) أنه ليس علم بل هو طريق للعلم إذا أراد الله بعبده خيرًا وإلا قد لا يهتدي، والشريعة لا تدعو إلى الحيرة بل تذم ذلك.

- **الوجه الثاني**: هل رأيتم ربنا في كتابه والأنبياء والمرسلين دعوا الناس إلى الشك أو الانتقال من الباطل إلى الحق؟

إن هناك فرقًا بين أن يُدعى الناس أن ينتقلوا من الحق إلى الباطل بالأدلة الشرعية، وبين أن يُدعى الناس إلى الشك، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- جاء إلى كفار قريش والكفار نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- في كفار قريش، فهل رأيتم ربنا سبحانه وتعالى أو نبينا -صلى الله عليه وسلم- ابتدأ معهم في الشك أو ابتدأ في دعوتهم للانتقال للحق؟

لذا لم يبتدئ معهم بالشك، وإنما دعاهم بالأدلة الكونية والشرعية لترك ما علهم من الباطل والانتقال إلى الحق.

وقد يُعترض على هذا باعتراضات منها:

- **الاعتراض الأول**: أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- وقد تستغرب أن أستعمله دليلًا وأنا أخطاب الملاحدة، وممن هم داخلون في الخطاب أناس برزوا لمناظرة الإلحاد فسلكوا طريقًا خطأً، وهو دعوة الناس إلى الشك، ومن أدلتهم ما أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في قوله تعالى: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم -عليه السلام-».

وقد أجاب على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كما في (مجموع الفتاوى)، وابن القيم في مواضع من كتبه في كتابه (التبيان في أحكام حملة القرآن) وفي (مدارج السالكين) وفي غيرهما من كتبه، أن الشك الذي كان عند إبراهيم -عليه السلام- ليس الشك المقابل لليقين، وإنما كان عند إبراهيم -عليه السلام- علم اليقين، فأراد أن ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين.

فإبراهيم -عليه السلام- ليس في شك وحيرة، بل أراد أن ينتقل من درجة عليا إلى درجة أعلى، من علم اليقين إلى عين اليقين، فإذن ليس له علاقة بما نحن بصدده.

- **الاعتراض الثاني**: لقائل أن يقول: إذا حاربت الشك، فإذن كيف يمكن لصاحب ضلالة أن يهتدي إلى الحق؟ كيف نستطيع أن نهدي يهوديًا أو نصرانيًا؟ أو المذاهب المنتسبة للإسلام وهي باطلة كالجهمي والرافضي والمعتزلي والأشعري؟ كيف نستطيع أن نهديه إلى الإسلام والسنة بحسب طريقته ومنهجه؟

يقال: ليس الطريقة أن تُورث عنده الشك، بل الطريقة أن تفعل ما فعله الله في كتابه والنبي -صلى الله عليه وسلم- في سنته، وهو أن تدعوه إلى الحق بدليله، فإذا دعوته إلى الحق بدليله فظهر له الحق فوجب عليه أن ينتقل من الباطل إلى الحق.

وقد يعرض له شك، وعروض الشك لأهل الباطل خير من استمراره بيقين على الباطل، لكنك في الأصل تدعوه إلى الانتقال، وقد يحصل له الشك، والشك يأتي تبعًا لا قصدًا.

فإذن طريقة هداية القوم أن يُبيَّن لهم خطأ ما هم عليه حتى يدعوا الباطل وينتقلوا إلى الحق، لا أن يُدعى أولئك القوم إلى الشك.

فإذن فرق بين أن يكون الشك مقصودًا وبين أن يأتي الشك عرضًا لا قصدًا.

فلسنا في حاجة أن ندعوهم إلى الشك، بل نحن في حاجة أن ندعوهم إلى الحق بدليله.

- **الاعتراض الثالث:** لقائل أن يقول: لو حاربتم الشك إذن أنتم تدعون للتقليد؟

يقال: لو أن رجلًا قلَّد أهل الحق فاهتدى للحق فهو خير ممن هو على الباطل، وخير ممن هو على شك، فلو قدر أن رجلًا سألك: أين المدينة الفلانية، أو أين بيت فلان؟

فقال: اتبعني، فسرت وراءه حتى دلَّك، فأنت مقلد له لكنك وصلت إلى مرادك، فأن تصل إلى مرادك مقلدًا خير من أن تبقى شاكًا، فلذا الناس على أصناف، وأعلى صنف أن يكون مجتهدًا بالأدلة الشرعية والعقلية ...إلخ، فمن لم يتيسر له هذا فيبقى مقلدًا على الحق خير من أن يبقى ضالًا وتائهًا أو شاكًا، وإن كان السعي للوصول للدرجة العليا وهي الاجتهاد أحسن، لكن بقاؤه مقلدًا على الحق خير من الباطل.

وهذا أمر لا يفهمونه، فهم يقولون: وما يدريك أنك على الحق؟ فلابد أن تشك.

فتقول: أنا عندي أدلتي أني على الحق بالأدلة الشرعية أو العقلية بحسب ما يُطرح، فلماذا ألتجئ إلى الشك؟

أخذ رجل بيدي وأثق به فأوصلني إلى بيت فلان فعلمت أن هذا بيته، فقال: أنت وصلت بالتقليد، لابد أن تشك ثم ترجع وتجتهد للوصول.

تقول: أرجع وأجتهد في الوصول فلا أصل؟ فيذهب عليَّ مرادي من وصولي إلى بيتي.

فوصولي إلى بيتي مقلدًا خير من أن أبقى تائهًا وأن لا يحصل مرادي.

فما يدعون إليه باطل وهو خطأ، فما يسير عليه جماعة ومن أشهر من أظهر هذا واستطاع أن يقرب من الشباب هو عدنان إبراهيم، لذا له مقاطع كثيرة في اليوتيوب يدعو فيها إلى الشك، ويُعظم الشك، وممن يسير على هذا طارق السويدان، لذا إذا رأيت حال ابنته تكاد تجزم أنها قد ألحدت أو قاربت - أسأل الله أن يُعافينا وإياكم- وترى كلامها فيما تطرحه من شك في الرب سبحانه وتعالى.

وعدنان إبراهيم يسير على هذه الطريقة وهي الدعوة إلى الشك، ويقول عن نفسه: أنا كل يوم أو ما بين حين وآخر أشك ثم أذهب وآتي بالأدلة.

فيقال: يا مجنون! أنت وصلت إلى دارك وحصل مرادك، ترجع من الوراء؟ العاقل يتقدم لا يشك!

ثم عدنان إبراهيم دخل هذا الميدان وهو مناقشة الملاحدة، فتسبب في إضلال كثير من الشباب بمثل هذا حتى عظَّم الشك، وتقدم أن الشك خطأ عقلًا

وشرعًا، وقلت لك أنت تبحث عن الماء عطشان ثم دلك رجل على الماء فوصلت إلى الماء، فيقال لك: قف، شُك في أن هذا ماء.

سبحان الله! أنا عطشان أريد أن أشرب! قال: أولًا شك أن هذا ماء، ابحث عن أدلة أن هذا ماء. تقول: يا رجل أنت مجنون؟ أنا عطشان وسأموت!

يقول لك: شُك، فشككت فمت.

فهذا لا يُقبل لا شرعًا ولا عقلًا، ثم إن شككت أنه ماء قد لا أستطيع أن أهتدي لأنه ماء فأموت عطشانًا؟

إذن هذه خرافة عقلية، هم غلوا في الشك فضلوا وأضلوا، الشك ليس ممدوحًا بل هو مذموم، ومتى ينفع الشك؟ إذا استطاع صاحبه أن يهتدي إلى الحق، لا أن يترك الحق إلى الباطل.

وإذا أردت أن تتبيَّن ضلال هؤلاء القوم فقرِّبه بالأمثلة العملية، قلت لك: رجل وصل إلى داره وبحث عنها كثيرًا حتى وجدها، ومضطر إليها، فلما وصلها قال: الحمد لله الذي هداني.

قال لك عدنان إبراهيم: شُك أن هذه هي دارك.

تقول: يا رجل أنا ما صدقت أني وصلت إلى مكاني حتى أنتهي، أأنت مجنون؟

قال: شُك حتى تتيقن.

تقول: إذن شككت، وذهب عليَّ مرادي ومقصودي! كيف أستطيع أن أرجع، وقد أستطيع الرجوع وقد لا أستطيع.

فطريقتهم لا تصح لا عقلًا ولا شرعًا.

المقدمة الرابعة:

يحاول أن يُقرر الملاحدة أو من سلك هذا المسلك في مناقشة الملاحدة كعدنان إبراهيم وأمثاله، يُحاولون أن يُقرروا أنه لا يوجد شيء يقيني، بل كل شيء قابل للاحتمال.

فلذا لا تعمل بشيء ولا تجزم بشيء، لأن كل شيء قابل للاحتمال، هل هذا ماء؟ قال: هذا ليس يقينيًا احتمال أنه ليس ماءً.

فلذلك يقولون: لا يوجد شيء يقيني، بل كل شيء قابل للاحتمال، فوجود الله يقولون فيه ليس يقينيًا، فتحتاج أن تجتهد وتشك حتى تبحث عن إله.

ومثل هذا باطل عقلًا وشرعًا، أما عقلًا فأولًا هذه مكابرة، أنا إنسان اعتقاد الإنسان إنسانيته وأنه إنسان يتطرق إليه احتمال أو يقين مجزوم به؟ فكيف يُقال لا يوجد شيء يقيني؟

وكذلك اعتقاد الإنسان وجوده هذا متطرق إليه الاحتمال أنه غير موجود أو يقين بالقطع؟

فالقول بأنه لا يوجد شيء متيقن بل كل شيء يتطرق إله الاحتمال، هذه مكابرة، بل هناك ما لا يُعد ولا يُحصى مما يُتيقن وجوده ولا يتطرق الاحتمال إلى ضده. هذا أولًا.

وثانيًا: من قال هذا الكلام متناقض وغبي أو لم يُوفق، فتقول له: يا مجنون، تريد أن تشرب ماء وأنت عطشان، تقول لا أشرب هذا الماء ففيه احتمال أن فيه سمًا، أو احتمال أنه ليس ماءً، لا آكل الطعام ففيه احتمال أنه مسموم أو أنه ليس طعامًا.

فإذن لا تأكل ولا تشرب وتموت؟

تريد أن تذهب إلى العمل وأن تعمل، فتقول: فيه احتمال ألا أهتدي في العمل، أو احتمال أن أصطدم في الطريق، إذن لا أذهب.

تقول له: تزوج.

يقول: احتمال ألا أوفق، واحتمال أن تكون مفاسد الزواج كثيرة، إذن لا أتزوج.

فلاحظوا أن هذا الكلام كلام مجانين، فالدنيا والدين قائمة على العمل بالقطع، فإن لم يوجد يُنتقل إلى غلبة الظن، وإلا ما صلح لا دين ولا دنيا وفسدت معيشة الناس.

فلذلك هم متناقضون، فعدنان إبراهيم وأمثاله يخرجون ويأكلون ويتناكحون ويفعلون أشياء كثيرة مع أنه على تأصيلاتهم الاحتمال متطرق إليها، فلماذا فعلوا ذلك؟

فهم إذن متناقضون واقعًا ثم أغبياء عقلًا، أسأل الله أن يعافيني وإياكم.

ثم ثالثًا يقال: القول بأنه ما من شيء إلا ويتطرق إليه الاحتمال هذا نسبي، والأمور المشاهدة أيضًا نسبية، فقد تشاهد أشياء وتتيقن بها وأنا لم أشاهدها فلم أتيقن بها، وإن كانت عقلية أيضًا نسبية، فقد تتبصر بعقلك ما لا أتبصر إليه، فلماذا تُجعل الأمور النسبية أمرًا كليًا، بل هو يختلف من شخص إلى شخص ومن حال إلى حال.

إذن قولهم أنه لا يوجد يقين بل كل شيء يتطرق له الاحتمال، فيأتيك ويقول لك: أنت تقول يوجد إله يقينًا؟

نحن نقطع به بالدلائل التي لا تحصى أننا متيقنون من وجود الله أكثر من تيقننا لوجودنا ورؤية بعضها لبعض.

ثم يأتي ويحاول أو يُورد عليك الاحتمال.

فتقول له: تنزلًا قبلت احتمالاتك، لكن هذه الأمر عندي من باب غلبة الظن، وتطرق الاحتمال المزعوم الذي هو لا شيء لكن جدلًا لا يُعارض غلبة الظن، ولو أني تركت كل ما كان من باب غلبة الظن لتطرق الاحتمالات عليه لفسدت عليَّ حياتي، كيف آكل؟ فيقال عما تأكله يحتمل أن لا يكون طعامًا ويحتمل أن يكون ضالًا وغيره ذلك.

فلذلك طريقتهم خطأ شرعًا وعقلًا.

فلذلك قولهم هذا باطل، ولو تأملتم هاتين المقدمتين، وهي المقدمة السابقة وأنهم يدعون إلى الشك وأنهم يُطالبون في الشك، فهذا أصله مأخوذ من المتكلمين كالأشاعرة وغيرهم.

والأشاعرة مختلفون، منهم من قال: أول واجب على المكلف الشك.

تدري ما معنى الشك؟ يعيش الرجل دهره مؤمنًا بالله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ثم يُقابل رجلًا أشعريًا كأبي حامد الغزالي وغيره فيريد أن يكون أشعريًا فيقول له أبو حامد: أولًا شُك.

تقول: يا رجل، أكفر بالله؟

قال: نعم. شُك في وجود الله حتى تتيقنه مرة أخرى.

هذا عند الأشاعرة وعند طوائف من المتكلمين أن أول واجب على المكلف الشك.

ثم الأمر الثاني أنه لا يوجد يقينيات وأنه لا يصح أن تُبنى العقائد إلا على القطعيات وبقية الأمور ما بين أمور محتملة ...إلخ، أيضًا هذا مأخوذ من الأشاعرة والمتكلمين، فهم القائلون: أن العقائد لا تكون إلا يقينية.

ثم تأتي بكتاب الله فيقولون عنه: كتاب الله ليس قطعيًا، ليس في ثبوته وإنما في دلالته، ثم تأتي بالسنة النبوية، ثم يقولون ليست قطعية في دلالتها ولا في ثبوتها، فردوا الكتاب والسنة.

لذا يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- كما في (مختصر الصواعق): وقولهم قطعي الدلالة وقطعي الثبوت، قلب الإسلام رأسًا على عقب. ويريد ابن القيم من استعمله استعمالًا باطلًا.

هذا يلتقي مع مذهب أولئك المتكلمين، لذلك أولئك المتكلمون يصل كثير منهم بل وصل كبير من كبرائهم إلى الحيرة، حتى يقول بعضهم: يا ليتني أموت على عقيدة عجائز نيسابور.

من كثر ما وجد الشكوك في رأسه، لأنه بنى الأمور على باطل، وهذا الذي سلكه مثل عدنان إبراهيم وأمثاله في مناقشة أولئك الملاحدة، بل هو لا يُناقشهم بل يُخاطب شباب المسلمين ويدعوهم لمثل هذا.

حتى حدثني أكثر من واحد وكتبه أكثر من واحد أنهم جلسوا مع كثير ممن ألحد من المسلمين فوجدوا السبب إلى مقاطع وكلمات عدنان إبراهيم وأمثاله، لأن عدنان إبراهيم لا يُناقش الملاحدة الآن هو يُناقش شباب المسلمين ويُورد عليهم الشكوك.

رجل وصل إلى بيت فلان بالتقليد واستيقنه، ثم يأتيك عدنان إبراهيم ويقول: لا، ارجع وشك أنك وصلت البيت وارجع مرة أخرى.

تقول: أنا ما صدقت أني وصلت بعد أن دلني الرجل!

يقول لك: ارجع وشك.

ثم يرجع فلا يستطيع أن يهتدي مرة أخرى إلى هذا البيت فضرهم وأضلهم والعياذ بالله.

المقدمة الخامسة:

يقول بعض الملاحدة: لا نستطيع أن نؤمن بشيء حتى نراه، ونحن لا نرى الله فكيف نؤمن به؟

والرد على هذا سهل للغاية، وهي شبهة سمجة، وذلك أن يُقال: إن الرد من أوجه:

- **الوجه الأول**: إننا وإن لم نر الله بأبصارنا لكن رأينا دلائله الكثيرة الدالة عليه سبحانه وتعالى، فلذلك قد قيل: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فدلائل وجود الله قد رأيناها وهي تتكرر معنا ليس في كل ساعة ولا في كل دقيقة، بل في كل لحظة.
- **الوجه الثاني**: إن القول بأنه لا يُؤمن بشيء حتى نراه غلط ومكابرة، فلو سألت أحد هؤلاء: هل تؤمن بالروح؟ قال: نعم، تسأله: هل رأيت الروح؟ يقول: لم أرها، فيقال: كيف آمنت بها وأنت لم ترها؟
- **الوجه الثالث**: إن لازم هذا القول إلغاء العقل الي قد غلوتم فيه، وذلك أن العقل يدلك على أشياء لم ترها، وإنما الذي يدل على ما يُرى هي المحسوسات، أما العقل فيدل على الأشياء التي لم تُر ولم تُدرك بالمحسوسات، فرجعتم إلى إلغاء العقل الذي عظمتموه.

المقدمة السادسة:

نظرية داروين، وهذه النظرية عجيبة للغاية، وكلما نظرت في هذه النظرية تعجبت في انتشارها، ثم لما علمت أن وراءها الصهاينة وهم يسعون لإضلال كل بني آدم من كل دين ولهم تمددهم الماسوني وغيره، علمت أن انتشارها ليس لقوتها في نفسها وإنما لوجود من يدفعها وينشرها، وإلا هي نظرية ساقطة وأنا أعتقد أن المجنون لا يصدقها فضلًا عمن عنده نصف عقل، فضلًا عمن عنده عقل.

لكنها لم تنتشر لقوتها في نفسها وإنما انتشرت لنشر أولئك الصهاينة واليهود لها، وقد قيل: إذا عُرف السبب بطل العجب.

وما هذه النظرية؟ وهذه النظرية لو قرأتموها ضحكتم وبكيتم، فتقوم هذه النظرية على أن أصل الكون خلية عشوائية، فأصل الكون أمر عشوائي، ثم هذا الأمر العشوائي ترتب مع التطوير، كلما تطوَّر ترتب وحسن.

وهذه النظرية قائمة على أن البقاء للأحسن والأكمل، ومن أمثلته يقولون: أصل الإنسان قرد، وأصل القرد يرجع إلى ما يرجع إليه، لكن البقاء للأقوى والأحسن، لذا يُصرح داروِن ومن تأثر بها بأن كل من كان دون الأكمل والأحسن لك حق في أن تبيده، فلذا الأكمل والأقوى له حق في أن يُبيد الأضعف.

لذا قيل: إن لهذه النظرية تأثيرًا في الحرب العالمية الأولى في السماح لهم بسفك الدماء، فهي قائمة هكذا أن الأقوى والأحسن له حق في أن يستهلك ويبيد من هو دون، ويعد هذا كمالًا.

فهي نظرية سافلة بكل معاني السفل، وظني لو لم يكن هناك من يحاول دفع ونشر هذه النظرية لما التفت إليها أحد.

والجواب والرد على هذه النظرية يطول، لكن أذكر شيئًا سريعًا: يقال أولًا يا أهل العقول والشك والحيرة ما الدليل على هذه النظرية؟ هي دعوى، فما دليلها وما برهانها؟ هي مجرد دعوى يُكررها أصحابها، ولماذا تردون الأدلة الظاهرة المتواترة المتكاثرة المتتابعة في كل دقيقة بل في كل لحظة على وجود الله وتنتقلون على نظرية لا دليل عليها.

افرض أني قلت: أنت أصلك قبل مائة سنة كنت فلان، ثم أصبحت فلان، فما الدليل؟

افرض أني قلت: أصل هذا الخشب أنه إنسان يطير ويأكل ويشرب قبل ألف سنة، ثم صار خشبًا، هذه دعوى، فما الدليل؟

لا يوجد أي دليل عقلي ولو قليلًا على إثبات هذه النظرية، والعجب أن تُصدق، لذا لما قابلت هؤلاء الملاحدة قلت لهم: بماذا تؤمنون؟ قالوا: بنظرية داروين، قلت: ما دليلها؟

يقولون: لا ندري. وكل من سألتهم يقولون: أصل الإنسان قرد، ثم صار إنسانًا، لكن ما الدليل؟ لا يوجد شيء.

أتدري أن داروين ماذا يقول في نظريته؟ هو يُرجع الإنسان الكامل إلى الإنسان الأوربي الأبيض الذي اشتد في بياضه، وكلما كان أقل بياضًا -ليس الأسود- فيصح للأبيض أن يُبيده أو أن يستعبده.

لذا تستغرب ممن ليس شديد البياض يُصدق بهذه النظرية، فهي ترجع عليه بالعكس والسلب.

فالمقصود أنها نظرية ساقطة ودعوى بلا برهان، فكيف تُصدق؟ هذا أولًا.

ثانيًا: نظرية داروين على القول بصحتها لا يلزم منها الإلحاد، لقائل أن يقول: لو سلمنا أن الإنسان كان قرد، الله جعله قرد ثم طوره وصار إنسانًا.

لذلك هناك من النصارى ممن يؤمن بوجود الله ويؤمن بعيسى يؤمن بنظرية داروين، فيقول: أنا أقر بأن الإنسان قرد لكن الله جعله قرد، فإذن على القول بنظرية داروين فإنه لا يلزم منها إنكار وجود الله.

المقدمة السابعة:

قد سمعت لقاءات لبعض من ألحد، وممن أُجري معه لقاء في ذلك منصور النقيدان في رمضان، لما قيل له: لماذا ألحدت؟ قال: قبل أن أُلحد كنت إذا فعلت معصية أجد

أثرًا وتأثرًا في نفسي، فقلت: حتى أرتاح وأستطيع أن أفعل جميع المعاصي لابد أن أُلحد ولا أؤمن بشيء من التكاليف، حتى لا أكون ملامًا على ترك التكاليف.

وبعضهم تقول له لماذا؟ يقول: أريد أن أتَّبع شهواتي، وكلما فعلت شهوة تذكرت أنني وقعت في خطأ، فتأثرت نفسيًا فأردت أن أرتاح من هذا فالنتيجة ألا أؤمن بدين حتى أستطيع أن أفعل كل شيء بلا ملامة.

والرد على هذا من أوجه:

- **الوجه الأول:** يُقال له مثلك مثل طالبين دارسين، الأول جاد وكلما نقصته درجة تأثر، وهو يسعى لتكميل درجاته ورفع مستواه، فهو في جهاد حتى يصل للدرجات العليا، فقال الثاني: بدل من أن أتعب نفسي مثل هذا وأعيش هذا الهم وهذا التعب أترك الدراسة كلها، فأعيش بطَّالًا عطَّالًا. يقال: صحيح أنت تركت كل شيء لكنك أصبحت من المتأخرين، ومثل هذا يُقال فيمن يتعب في تحصيل دنياه، فاليوم يكدح ويتعب واليوم فات عليه شيء وغدًا أدركه، والثاني بطال جلس عالة على المسلمين ولم يعمل شيئًا، فالثاني لا شعور له، فيقال مثلك مثل هذا وهذا يعتبر ذمًا ولا يعتبر مدحًا.

  وذكرني هذا ببيت للمتنبي قال:

  ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فصاحب العقل يشقى بعقله لأنه يريد أن يرتفع فيتعب ويُجاهد، والجاهل الذي لا يفعل شيئًا ينفعه هو جالس ويلعب بالبلايستيشن وبطال، لكن العبرة بعد ذلك، ففرق بين حياة هذا وحياة الآخر.

فإذن هذا ليس حلًا.

الوجه الثاني: ثم يقال: من قال أنه يسلم من الهموم؟ والله وتالله وبالله يعيشون همًا لا يعلمه إلا الله، لأنه إذا كان له عقل -دع المجنون الذي عوقب عقوبة بأن زُين له سوء عمله- لأن الأدلة تصادمه في وجود الله وفي التكاليف الشرعية، فأين المفر من هذه الأدلة؟

المقدمة الثامنة:

ممن أضر كثيرين المبالغة في العقل والثقة بالنفس، صحيح كون أن يحترم الرجل عقله وأن يستفيد من عقله هذا شيء محمود، وبين أن يعتمد على العقل وحده فهذا خطأ.

فما العقل؟ العقل إذا تأملته هو أصل في الإنسان غريزي وقد يُكتسب، وأصله غريزي، وهو من باب التقريب: إناء فارغ كلما كان الإناء أحسن كان أحسن في حفظ ما وُضع فيه.

فما في ذهنك من معلومات قد استجلبها العقل من تجارب الحياة والقراءة أو من علم درسه أو غير ذلك، فإذن فرق بين العقل وبين المعلومات، فهذا العقل الغريزي

في الإنسان قد يستطيع أن يكسب به شيئًا ولا شك ويتفاوت الناس في عقولهم، لكن بمقتضى العقل ينبغي أن يُحترم أهل التخصص.

فلو قال قائل: أنا لي عقل، فإذن سأخوض مع الأطباء في العمليات، وسأقوم بالعمليات الجراحية، هل يقبل هذا أحد؟ كلا هذا جنون، ولو كان له عقل لما قال هذا، لأن مقتضى العقل أن يُوكل الأمر إلى أهله.

فيأتي مثل عدنان إبراهيم ويُخاطب الشباب بعقولهم حتى يجعل الشاب ينتفخ، ويرى نفسه شيئًا عظيمًا، فيقول: لي عقل وأستطيع أن أفهم أن هذا حلال وهذا حرام وأستطيع أن أشك وأن أرجع، ...إلخ، فيُفسده، فيكون قد فتنه ثم أضله.

ومثله مثل أن يرى رجل شابًا مفتول العضلات قوي الجسم، وهذا الشاب لا يُحسن السباحة، فيُثني عليه: ما شاء الله ما أقواك، بارك الله فيك قوة وشجاعة، فقال له: اسبح يا فلان، فاستحى أن يقول لا أعرف أن أسبح، فقال: مستحيل أن تكون لا تعرف السباحة!

ثم مع الخديعة والتزيين والتجميل والنفخ فيه رمى نفسه في البحر، والنتيجة؟ سيغرق.

فوجود العضلات والقوة البدنية شيء، ومعرفة السباحة شيء آخر، ووجود العقل شيء ومعرفة التخصص وكيف يُؤتى الأمر من بابه شيء آخر، فرحم الله امرءً عرف قدر نفسه.

ففي العلم الشرعي إذا لم تدرسه من بابه ولم تتأصل فيه فكيف تخوض؟ وكذلك إذا كان في الطب أو في الهندسة كيف تخوض هذه الميادين وأنت لا تحسنها؟

لذلك تعلمها كغيرك، فنحن لسنا رافضة وعندنا مشايخ محصورين بالتقديس، بل عندنا ميدان من سلكه وحصل العلم من سلكه فله أن يتكلم في هذا العلم، بل لو أتى عالم في العلم الشرعي وتكلم في علم الطب وهو لا يُحسنه لأصبح مذمومًا، ومثل ذلك لو تكلم في الهندسة لأصبح مذمومًا.

فإذن بمقتضى العقل لا يُتكلم في شيء إلا بعد دراسته ومعرفته، ومن تكلم في شيء دون دراسته ومعرفته ففعله يناقض العقل.

وعدنان إبراهيم وأمثاله خدعوا الشباب بمثل هذا، نفخوا فيهم وأن لهم عقول ولهم قدرة، وأنه لابد أن يكون عندهم ثقة في النفس، فانتفخ هذا الشاب ثم خاض الميادين التي لا يُحسنها فغرق في بحار الإلحاد -عافاني الله وإياكم-.

مثله كمثل ذلك الشاب المفتول العضلات فنُفخ فيه بأنه قوي وله معرفة وأنه وأنه، ثم سبح في البحر فكانت النتيجة أنه غرق فيه وهلك.

المقدمة التاسعة:

اختلاف أقدار الله على الناس، وكثير ممن ألحد قد ألحد بسبب هذا، فيقول: قد قدر الله عليَّ وعلى أهلي بمصائب عظيمة دون فلان، فلماذا أنا فقير وفلان غني، لماذا أنا مريض ومشلول وفلان ليس كذلك، لماذا؟

فينظر للتغاير في أقدار الله في خلقه، فهذا التغاير في أقدار الله في خلقه جعلته يشك في الله، فدُخل عليه من هذا الباب.

والجواب على هذا من أوجه كثيرة أذكر بعضها على عجالة سريعة:

- **الوجه الأول**: تقدم ذكر الأدلة على وجود الله، والأدلة على وجود الله كثيرة للغاية، فإذن وجود الله ثابت، والثابت لا يُرد بمثل هذه الأمور، لأننا عندنا يقين بل أشد اليقين بل الأدلة اليقينيات المتواردة والمتكاثرة على ذلك فلا تُرد بمثل هذا، بل يقال: هذا مشكل، واليقين يبقى على يقينه، واليقين لا يُرد للمشكل بل يُرد إلى اليقين. وهذا يتضح بالوجه الثاني.
- **الوجه الثاني**: إن عندنا يقين بوجود الله لكن لا نعرف حكمته في التغاير في الخلق، فعدم علمنا بالحكمة لا يدل على عدم الحكمة.

فالآن لنفرض أني جلست بهذه الطريقة فيتأمل الإنسان ما الحكمة من ذلك؟ فأخذت تتفكر ولم تظهر لك الحكمة، فعدم ظهور الحكمة لك لا يدل على أنه لا يوجد حكمة، بل قد تكون لحكمة وأنت لا تعرفها.

فإذن من القواعد العقلية المهمة أن عدم معرفة الحكمة ليس نفيًا للحكمة، وقد تقدمت الأدلة الكثيرة على إثبات وجود الله، لكن الحكمة لم تظهر لك، فعدم ظهور الحكمة لا يدل على عدم الحكمة.

ويُقرب هذا برجل مريض، فقال له الأطباء العارفون: لابد أن يُبقر بطنك وأن يُفعل بك كذا وكذا، فقال: اشرحوا لي، فلم يفهم، ثم أعادوا الشرح فلم يفهم، ثم قالوا: أنت ما بين خيارين، إما أن توافق فيُبقر بطنك لتُعالج أو تُترك فتموت.

فكل عاقل يقول: أنت لست من أهل التخصص ولم تفهم الأمر، وعدم فهمك له لا يدل على أنه ليس صحيحًا، فسلِّم إلى أهل الخبرة.

فإذا كان هذا في البشر ففي رب البشر من باب أولى.

- **الوجه الثالث:** أحد الناس كتب رسالة وهو أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، وأنا متحفظ على هذا الرجل لأخطائه العقدية، لكن أذكر جوابه ليُعلم المراد وتستطيع أن تصل لهذه الرسالة، ذكر في رسالة له أنه واجه عبد الله القصيمي الذي ألحد -عافاني الله وإياكم-.

فقال له عبد الله القصيمي: أتؤمن برب جعل هذا أبيض وهذا أسود، وهذا طويلًا وهذا قصيرًا، وهذا غنيًا وهذا فقيرًا، وهذا مريضًا وهذا سليمًا؟ أتؤمن برب فعل هذه الأمور؟ أتؤمن برب جعل هذا منكوبًا وتُنكب أمم، وجعل هذا على خلاف ذلك؟

فأجاب ابن عقيل الظاهري بجواب رجل ذكي، فقال: أنت الآن تُناقشني في أفعال الرب لا في ذات الرب، وأنا وإياك مختلفون في ذاته ووجوده، دعنا نُسلم بوجوده ثم بعد ذلك نبحث عن أفعاله.

وهذا جواب سديد، لأنه إذا أقر بوجود الله لابد أن يُقر أن الله هو خالق الخلق سبحانه، فإذن إذا أقررنا بعظمه وأفعاله لم تظهر لنا الحكمة فيها فيجب لنا أن نُسلم.

- **الوجه الرابع**: إن من يقول هذا القول ويعترض بهذا الاعتراض عنده نظرة قاصرة فبها أن الأدلة تكاثرت على وجود الرب سبحانه، وأن الحياة طريق والعبرة بالآخرة، لأني رأيت مقطع قبل فترة رأيت شابًا سوريًا يقول: كيف أؤمن بالرب الذي ابتلانا وعذبنا وفعل بنا كذا وكذا.

فيقال: الإيمان بالرب قد ثبت بالأدلة الكثيرة، ومثل هذا أشكل عليك في أفعاله، وعدم ظهور الحكمة لك لا يدل على أنه لا يوجد حكمة، ثم قال: نحن مخلوقون في دار نكد، وكل من ترى فيها فهو في كبد، لولا حلاوة الإيمان ولذته وانشراح الصدر به.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] لأنها ليست دار بقاء وإنما دار عبور ودار فناء، فلذلك ينوع الله وهو أحكم الحاكمين على عباده البلاء، ونحن خُلقنا للامتحان، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢].

فمن الناس من يبتليه بالسراء، ومن الناس من يبتليه بالضراء، وفتنة السراء أشد من فتنة الضراء، وهذا ما لا يعلمه كثيرون، وقد تكلم على هذا ابن مفلح في أوائل الآداب الشرعية، ونقل نقلًا مفيدًا عن ابن الجوزي، وقال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى-: وذلك أن الجائع إذا لم يوضع أمامه الطعام صبر، لكن إذا وُضع أمامه الطعام لم يستطع الصبر، ففتنة السراء أشد من فتنة الضراء.

فهذا المسكين الذي تصوَّر أن نزول البلاء والنكبات به أنها فتنة خصته دون غيره، فهو المسكين هو في فتنة البلاء والضراء، فهو أسهل لو كان ذا عقل ممن ابتُلوا بالسراء.

ثم من رحمة الله أن الله قد يُحب فلانًا فيُعجل له العقوبة أو البلاء حتى يرفع درجته، وهو سبحانه أحكم الحاكمين، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

بل قد يكون رب العالمين لو أبقى له زوجه أو أمه أو أباه أو ولده لوجد من البلاء العظيم بعد ذلك ما تمنى ألا يبقوا، فالله أعلم وأحكم سبحانه وتعالى.

لذلك الجواب على هذا كله أن نعلم أن الله حكيم، ولا نعلم تفاصيل حكمته، فنُرجع الأمر إليه سبحانه، لذا قيل: الإيمان بالقدر بلسم الحياة.

من أعظم ما يشرح الصدر أن تؤمن بقضاء الله وقدره حلوه ومره، وأن تُسلم الأمر كله لله سبحانه وتعالى، وأن تعلم أنه لم يختر لك إلا الخير.

المقدمة العاشرة:

علاج الإلحاد له حالان:

- **الحال الأولى**: قبل وقوعه.
- **الحال الثانية**: بعد وقوعه.

وأنا أتكلم بالدرجة الأولى ومن حيث الأصل قبل الوقوع أتكلم مع المسلمين، أما بعد الوقوع فأكثر ما يكون الكلام موجهًا لمن أراد أن يهتدي من الملحدين الكافرين ممن ألحد، وهم كافرون في الأصل بأن يهتدوا للإسلام، أو من ألحد من المسلمين وهم قلة ونزر وأؤكد أنها ليست ظاهرة.

أما علاج الإلحاد قبل وقوعه، وكما قيل: الدفع أسهل من الرفع، والوقاية خير من العلاج.

- **الأمر الأول**: الدعاء، لذا شُرِع لنا في صلاتنا أن نقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة، وأعظم الدعاء هو الدعاء الموجود في آخر سورة الفاتحة وهو قوله سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ومن معاني هداية الصراط المستقيم: الثبات على الحق، لذلك رسول الله وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى». وهو النبي -صلى الله عليه وسلم- فكيف بنا.

فلذلك نحتاج إلى الدعاء وأن ندعو الله الثابت والاستمرار على الهدى، ومن أعظم ذلك قولنا في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

- **الأمر الثاني**: عدم السماع لكل أحد، بعض الناس قد أرخى سمعه فما إن يتكلم أحد إلا ويُرخي سمعه لهذا المتكلم، وهذا خطأ، لا يصح لنا أن نُرخي سمعنا لكل متكلم، قد يكون المتكلم جاهلًا، لكن يُريد العلو في الأرض، وهذا من أسباب الإلحاد عند كثير ممن ألحد من المسلمين حب العلو، وحب لفت النظر، فتراه إذا جلس في المجالس أخذ يتكلم ويُشكك لأنه كما يقال: خالف تُعرف.

فهو يريد الرئاسة، والرئاسة ليس أن تصل إلى منصب دولة، بل الرئاسة كل رفعة تُعد رئاسة، لو ارتفعت على أخيك وحده هذا نوع من الرئاسة والشرف، فيريد أن يُلفت الأنظار فيبدأ يُعارض، وقد يكون ذكيًا لكنه خاض فيما لا يعرفه، وهذا من غبائه، وإلا لو كان ذكيًا ومُوفقًا لما خاض فيما لا يعرفه.

وترى بعض الناس في المجالس يطرح أشياء كبيرة وهو لا يعقلها، ويبدأ يتكلم فيها ويقبل هذا ويرد هذا ويخوض في هذا، ويريد أن يُلفت الأنظار إليه، وكثير من هؤلاء لو وقع في يد رجل فاهم وعارف لأسكته وألجمه، لكنه يأتي عند من لا يدري كالأعمش عند العميان، فيتكلم بينهم فيجد عشرة أو عشرين وثلاثين لم يُعارضون إما لأنهم يرونه كالمرفوع عنه القلم

وليس عندهم استعداد للخوض معه، وهو يظن أن ذلك بسبب قوة حجته، أو أن يكون وقع في أناس لا يعرفون فيغتر في مثل هذا.

ثم يبدأ يخوض هذه الميادين ورأيت كثيرين يتكلمون في الدين على غير معرفة، وأذكر مرة كنا في مجلس وفيه عوام، أتانا رجل عامي من جهة معينة، فبدأ يخوض ويقول: الديمقراطية خير من كل شيء، ولا يوجد دليل من الكتاب ولا السنة يُخالف الديمقراطية.

والحضور عوام وشباب، وهو يتكلم بهذا الجزم والشباب ينظرون إليه مُحدِّقوا الأبصار فاتحي الأفواه، وهو ضعيف وأتى من خارج السعودية فما أحببت أن أخوض معه بكلام طويل، لكن رأيت أنه لابد، فقلت له: سؤال فقط سريع لو تكرمت، ما الجواب على قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]؟

لأن هذه الآية لا تجتمع مع الديمقراطية، والديمقراطية تحكيم الشعب الأكثر فالأكثر.

فوقف وقال: هذه الآية لم تمر عليَّ، يحتاج أن أرجع إلى تفسيرها وأفهمها.

فأنت تظن وهو يتكلم أنه قرأ القرآن بالقراءات السبع، ودرس التفاسير كلها، وقرأ التوراة والإنجيل.

فلما أجاب هذا الجواب ضحك الشباب كلهم، بعضهم تعود أن طرح ويقول أي شيء في أي مكان وأي زمان وبأي طريقة، وكثير من الناس قد

يكون لا يدري وينظر إليه وغير مبالٍ، وبعضهم يقول هذا مجنون، وأنا أسمع كثير من العوام يقولون عن بعض هؤلاء: صحيح أنه رجل ذكي وفاهم لكنه مسكين، حتى العوام يقولون هذا.

ومنهم من قد يُعجب به لكن لا يتابعه، ومنهم من يتابعه وهم نزر قليل.

لذلك ينبغي للإنسان ألا يُرخي سمعه إلى كل أحد، هذا من جهة الجهال، ثم جهة من يتلبس بالعلم والهدى عليه أن يتق الله وألا يأخذ العلم من كل أحد حتى لو تلبس بالعلم والهدى.

روى الإمام مسلم في مقدمته عن محمد بن سيرين أنه قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

فمن الأخطاء الكبيرة أن بعض الناس يسمع لكل أحد، في اليوتيوب أو غيره، أو يقرأ لكل أحد، وهذا غلط، أولًا الوقت أقل من أن يُهدر للسماع لكل أحد، ثم لا تسمع إلا إلى موثوق، وثالثًا: الشبه خطافة والإنسان لا يدري، لأنه إذا سمع ثقة بنفسه فيُوكل إلى نفسه، ومن وُكل إلى نفسه هلك -عافاني الله وإياكم-.

- **الأمر الثالث**: ملازمة العلماء الراسخين وطريقتهم ومعرفة طريقتهم وأخذ العلم عنهم وعمن سار على طريقتهم.

فقد منَّ الله علينا بعلماء موثوقين فلسنا في حاجة إلى غيرهم، ومن أئمة السنة العظام العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-، والعلامة محمد بن

صالح العثيمين -رحمه الله تعالى-، والعلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-.

وهكذا علماء كثيرون إلى شيخنا العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالى-، والشيخ العلامة مقبل الوادعي -رحمه الله تعالى-، وغيرهم كثيرون، فلسنا في حاجة أن نأخذ العلم عن غيرهم، نأخذه عن هؤلاء العلماء الموثوقين ومن سار على طريقتهم.

وهذا كما أنه هو الشرع أيضًا هذا هو العقل، لو أردت أن تُصلح جوالًا لذهبت به إلى الأوثق والأعرف، وهو هاتف جوال فكيف بدينك؟

فلا تأخذه إلا من الموثوقين وممن يسير على طريقتهم، من فعل هذا بإذن الله أنه يكون من الناجين.

- **الأمر الرابع**: وهو علاج لمن يسلك هذه المسالك للفت الانتباه والنظر ولأجل الرئاسة والعلو والشرف، وهو أن يتذكر الموت، فالموت كائن لا محالة، فما الذي ينفعه إذا لفت الأنظار إليه أو أشار الناس بالأصابع إليه؟ والله لا شيء، غدًا سيموت ويُدفن وحده ويُحاسبه ربه وحده، لن ينفعه التفات الناس إليه أو رفع الناس له أو تعظيم الناس له، فليتق الله وليعلم أن الموت يأتي فجأة.

أذكر مرة أنني كنت في إحدى الدول العربية، وكنت ضائعًا، فسألت رجلًا: أين مكان الفندق الفلاني؟ فوصف لي الفندق وكان يُدخن، فلما انتهى قلت

له: وجهك وجه طيب، لو تركت الدخان فلا يجوز شرعًا وهو ضار، فقال لي -وهنا الشاهد-: تكلمني في الدخان؟ أنا ملحد!

يعني ما صدق خبرًا أن أفتح معه الموضوع، فقال: تريد أن آتيك في بهو الفندق ونتناقش؟

فهو يريد لفت الأنظار وأن يُبيِّن أن عنده شيئًا، لذلك كثير منهم مريض بهذا المرض، لذلك لا علاج له إلا أن يتذكر الموت وأن هذا لا ينفعه يوم القيامة.

أما من أصبح ملحدًا من الكافرين أو مسلم وقع في الإلحاد -وهذا ولله الحمد نزر قليل- فينبغي أن يُعالج بما يلي:

- **الأمر الأول**: أن ينظر في الدلائل العظيمة الدالة على بطلان هذا الإلحاد، فهذا الإلحاد لا دليل عليه لا نظري ولا عقلي، فلا يوجد دليل يدل على هذا الإلحاد، فأنت الآن تترك الأدلة الظاهرة في إثبات وجود الله ثم تنتقل إلى شيء لا دليل عليه.
- **الأمر الثاني**: كيف تترك الأدلة الظاهرة المتكاثرة المتواترة في وجود الله سبحانه وتعالى وقد تقدم الكلام على مثل هذا.
- **الأمر الثالث**: يُقال لهذا الرجل: إذا كنت كافرًا وتريد النظر في الإلحاد والإسلام أو كنت مسلمًا قبلُ فوقعت في الإلحاد وتريد الحق، فارجع إلى

المختصين وأهل العلم والمعرفة وناقشهم مناقشة المتعلم لا مناقشة المعاند، ابحث معهم، فمن كان صادقًا فلابد أن يُهدى إلى الحق إذا شاء الله له ذلك.

- **الأمر الرابع**: أؤكد أن كثيرًا ممن تلبس بالإلحاد من المسلمين أو بعبارة أدق: يوجد كثيرون منهم هو مريض مرضًا نفسيًا، وقد يكون ممسوسًا، لذا لما كلمني بعضهم عن بعض هؤلاء قلت: اقرأوا عليه، بإذن الله مع القراءة يُشفى، تلبست به الشياطين فآذته.

فبعضهم مريض مرضًا نفسيًا أو تلبست به الشياطين، فلذلك يُعالج علاجًا نفسيًا أو يُقرأ عليه حتى يُشفى، وجربوا مثل هذا، أول ما يُقال لك أن فلانًا ألحد، أخبرهم أن يقرأوا عليه، صدقني أن سبعين في المائة منهم سيُشفى بإذن الله سبحانه وتعالى.

فكثير منهم فيه مس، أو مريض مرضًا نفسيًا، أسأل الله أن يعافيني وإياكم.

بعد هذه المقدمات ننتقل للتعليق على كلام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله تعالى-، وهذه الرسالة رسالة لطيفة وهي رسالة مختصرة للغاية، وله كتاب آخر أرانيه بعض الإخوة جمع فيه عدة مقالات في الكلام في الإلحاد، وهي رسالة أطول من هذه بأضعاف مضاعفة، لكن هذه الرسالة رسالة مختصرة وقد ألفها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي كعادته في كثير من رسائله أنه يؤلفها على طريقة المناظرة.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله تعالى-:

أذكر هـهنا محاورة بين مؤمن موحد ومادي ملحد، وذلك أن رجليْنِ مسلميْنِ كانا متصافييْنِ على الإسلام وفي طلب العلم، فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا؛ فإذا هذا الغائب قد تغيرت أحواله وأخلاقه، فسأله صاحبه وبحث معه في تبيين السبب الذي أوصله إلى هذا التغير الذي لا يعهده منه؛ فإذا هو قد تغلبت عليه دعايات الملحدين الذين يدعون لنبذ الدين ورفض ما جاء به سيد المرسلين، فحاوله صاحبه وقلبه على كل وجه لعله يرجع عن هذا الانقلاب الغريب الذي توجه به وجهة خبيثة؛ فلم يفد فيه النصح.

فعرف أن هذه علة تفتقر إلى استئصال أصل الداء ومقابلته بضده، وأن ذلك متوقف على معرفة الأسباب التي حولته وإلى تمحيصها وتوضيحها ومقابلتها بما يضادها ويقمعها، وشرحها شرحاً يبين مرتبتها من الحقيقة؛ فقال له مستكشفاً له عن الحامل له على ذلك.

قوله: (أذكر هـهنا محاورة بين مؤمن موحد ومادي ملحد، وذلك أن رجليْنِ مسلميْنِ كانا متصافييْنِ على الإسلام وفي طلب العلم، فغاب أحدهما عن صاحبه مدة طويلة، ثم التقيا ...) أي أن هذان الرجلان طلبا العلم، فطال بهم الزمن ولم يلتقيا ثم التقيا بعد ذلك.

قوله: (وأن ذلك متوقف على معرفة الأسباب التي حولته وإلى تمحيصها وتوضيحها ومقابلتها بما يضادها وبقمعها، وشرحها شرحاً يبين مرتبتها من الحقيقة؛ فقال له مستكشفاً له عن الحامل له على ذلك) وهذه طريقة مفيدة، فإذا أردت علاج أحد اعرف السبب الذي أوقعه فيما هو فيه، سواء كان المرض حسيًا أو معنويًا، وسواء كان في الإلحاد أو ما هو دونه، لأنه إذا عُرف السبب استطعت أن تعالجه.

فقال له: يا هذا! ما هذه الأسباب الي حملتك على ما أرى، وما الذي دعاك إلى نبذ ما كنت عليه، فإن كان خيراً كنت أنا وأنت شريكين فيه وتابعتك على ذلك، وإلا؛ فانظر لنفسك، وانظر من عقلك وأدبك أنك لا ترضى أن تقيم على ما يضرك ويثمرك الثمرات الرديئة!

فقال له: لا أخفيك العلم أني رأيت حالة المسلمين حالة لا يرضاها عاقل، رأيتهم في ذل وخمول وأمورهم مدبرة وأحوالهم سيئة، ورأيت في الجانب الآخر هؤلاء الأجانب قد ترقوا في هذه الحياة وتفننوا في الفنون العجيبة، واخترعوا الاختراعات المدهشة والصناعات المتفوقة، وقد دانت لهم الأمم وصاروا يتحكمون في الأمم الضعيفة بما شاؤوا ويعتبرونهم كالعبيد لهم والأجراء وأدنى من ذلك؛ فرأيت منهم العز الذي بهرني والتفنن الذي أدهشني؛ فقلت في نفسي: لولا أن هؤلاء القوم هم القوم، وأنهم على الحق والمسلمون على ضده؛ ما كانوا على الوصف الذي ذكرت لك، فرأيت سلوكي سبيلهم خيراً لي وأحمد عاقبة؛ فهذا الذي صيرني إلى ما رأيت.

قوله: (ما هذه الأسباب الي حملتك على ما أرى، وما الذي دعاك إلى نبذ ما كنت عليه، فإن كان خيراً كنت أنا وأنت شريكين فيه وتابعتك على ذلك، وإلا؛ فانظر لنفسك، وانظر من عقلك وأدبك أنك لا ترضى أن تقيم على ما يضرك ويثمرك الثمرات الرديئة) وهذا أسلوب طيب، فإذا أردت أن تكسب غيرك، فتقول له: أنت

انتقلت إلى حال، فإذا كان ما انتقلت إليه أحسن مما نحن فيه فبيِّنه لي، لعلي أنتقل معك، فهذا أشجع ليه.

وخلاصة جواب من ألحد: أنه قد ألحد بعد إسلامه، وذلك أنه رأى الكفار متقدمون في دنياهم، ورأى المسلمين متأخرين في دنياهم، فقال: لو كان الإسلام على حق لما تأخَّر المسلمون، فدل هذا على أن الإسلام ليس على حق، فانتقل إلى الإلحاد.

قوله: (ورأيت في الجانب الآخر هؤلاء الأجانب ...) كلمة الأجانب في هذا الاصطلاح أي عند العوام، والمراد به الغربيون والأوربيون.

فقال له صاحبه حين أبدى له ما كان مستوراً: إذا كان هذا هو السبب الذي حوَّلك إلى ما أرى؛ فهذا ليس من الأسباب والطرق والحقائق التي يبني عليها العقلاء وأولو الألباب عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم، ويعلقون بها مستقبلهم وآمالهم، أما تأخر المسلمين فيما ذكرت؛ فليس ذلك من دينهم، بل دينهم يضاد هذا أشد المضادة، وقد علمت وتيقنت ببعض ما عرفت أن دين الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح من كل وجه: إصلاح العقائد والأخلاق والدين والدنيا، وإصلاح الأحوال الداخلية والخارجية بكل وسيلة تصلح الأمة وتكف عنها عادية الأعداء، والاستعداد لهم بكل قوة تستطاع، وها هو لا تزال تعاليمه وإرشاداته قائمة لدينا، تنادي أهلها: هلموا إلى جميع الأسباب النافعة التي تعليكم وترقيكم وتعزكم في دينكم ودنياكم! أفبتفريط أهل الدين بل المنتسبين إلى الدين تحتج على الدين وتوالي أعداءه؟! أليس العاقل إذا رأى هذا التفريط منهم أوجب له أن يكون نشاطه وجهاده متضاعفاً لينال المقامات العالية.

يستنقذ الهالكين من الهوة العميقة؟! أليس القيام التام لنصر الدين في هذه الحالة من أفرض الفروض وأوجب الواجبات؟! فالجهاد في حال قوة المسلمين وكثرة المشاركين له فضل عظيم يفوق سائر العبادات؛ فكيف إذا كانوا على هذا الوصف؟! فإن الجهاد في سبيله لا يمكن التعبير عن فضله وجليل ثمراته، ففي هذه الحال يكون الجهاد قسمين:

قسم جهاد لتقويم المسلمين وإيقاظ هممهم وعزائمهم، وتعليمهم كل علم ينفعهم، وإرشادهم إلى كل صلاح وإصلاح، وتهذيبهم بالأخلاق الراقية، ولعل هذا أشق النوعين وأفضلهما.

وقسم فيه مقاومة الأعداء وإعداد العدد لهم من كل وجه.

أفحين صار الأمر على الوصف الذي ذكرت والحال التي شرحت، وصار الموقف حرجاً تتخلى عن إخوانك المسلمين وتتخلف مع الجبناء والمتخلفين؛ فكيف وأنت منضم إلى حزب المحاربين، لا تكن يا هذا أرذل ممن قال الله فيهم}} :تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا] {{آل عمران: ١٦٧] ، قاتلوا لأجل الدين أو ادفعوا لأجل الرابطة القومية؛ فأعيذك من هذه الحالة التي لا يرضاها ذوو الديانات ولا أهل النجدات والمودات فهل ترضى أن تشارك قومك في حال عزهم وقوة عددهم وعديدهم، وتفارقهم في حال ذلهم ومصائبهم، وتخذلهم في حالة اشتدت فيها الضرورة إلى نصرة الأولياء وغيرهم وقمع عدوان الأعداء؛ فكيف مع هذا تظاهر الأعداء الألداء؛ فهل رأيت ديناً خيراً من دينك؟!

قوله: (إذا كان هذا هو السبب الذي حوَّلك إلى ما أرى؛ فهذا ليس من الأسباب والطرق والحقائق التي يبني عليها العقلاء وأولو الألباب عقائدهم وأخلاقهم

وأعمالهم، ويعلقون بها مستقبلهم وآمالهم ...) يقول له: هذا الذي تحكيه لا يصح أن يكون حجة، وليس أمرًا عقليًا تُبنى عليه العقائد.

قوله: (أما تأخر المسلمين فيما ذكرت؛ فليس ذلك من دينهم، بل دينهم يضاد هذا أشد المضادة، وقد علمت وتيقنت ببعض ما عرفت أن دين الإسلام يدعو إلى الصلاح والإصلاح من كل وجه: إصلاح العقائد والأخلاق والدين والدنيا، وإصلاح الأحوال الداخلية والخارجية بكل وسيلة تصلح الأمة وتكف عنها عادية الأعداء، والاستعداد لهم بكل قوة تستطاع) فيخبره أن تأخر المسلمين ليس من دينهم لأن دينهم يدعوهم إلى التقدم، فكيف نسبته تأخرهم إلى دينهم؟

قوله: (أفبتفريط أهل الدين بل المنتسبين إلى الدين تحتج على الدين وتوالي أعداءه؟!) وهذا أمر مهم للغاية، فرقٌ بين الإسلام والمسلمين، فتأخر المسلمين في أمور دنياهم ليس لأجل إسلامهم وإنما لأجل تقصيرهم، ففرق بين الإسلام وبين المسلمين، فلذلك إذا أردت أن تنقد الإسلام لا تنقده بالنظر إلى أحوال المسلمين أنفسهم وإنما انظر إلى تعاليم الإسلام.

وإذا أردت أن تُثني على دين آخر فلا تنظر إلى أصحابه، ولكن انظر إلى تعاليمهم، فإذن فرق بين الإسلام وبين المسلمين، فإذا تخلف المسلمون فليس نقصًا ولا ذمًا للإسلام لأن تعاليم وقوانين الإسلام على خلاف ذلك.

قوله: (أليس العاقل إذا رأى هذا التفريط منهم أوجب له أن يكون نشاطه وجهاده متضاعفاً لينال المقامات العالية. يستنقذ الهالكين من الهوة العميقة؟!) يقول له: المفترض منك أن تكون على خلاف ذلك، وهو أنك لما رأيت المسلمين تركوا دينهم أن تكون ذا حماسة لأن تُرجع المسلمين إلى دينهم وأن تتمسك أنت نفسك بتعاليم دينك فتتقدم لا أن تتخلى عنه.

قوله: (فالجهاد في حال قوة المسلمين وكثرة المشاركين له فضل عظيم يفوق سائر العبادات؛ فكيف إذا كانوا على هذا الوصف؟!) إذا كان هناك جهاد في حال قوة المسلمين ففضله عظيم، فكيف إذا كان الأمر على خلاف ذلك، ثم أشار إلى حال قوة المسلمين، فدل على أن الجهاد يُشرع في حال قوة المسلمين على تفصيل، لكن لنفرض أن المسلمين في حال ضعف واضطروا لجهاد الدفع وهم محتاجون لهذا الجهاد، أيصح لناصح وعاقل يترك دينًا وأناسًا احتاجوا إليه في حال القوة، ثم في حال الضعف تخلى عنهم؟ هذا لا يصح لعاقل.

فإذن يتعين عليك في حاجة المسلمين في ذاك اليوم أن تقف معهم أكثر من ذي قبل.

قوله: (فإن الجهاد في سبيله لا يمكن التعبير عن فضله وجليل ثمراته، ففي هذه الحال يكون الجهاد قسمين: قسم جهاد لتقويم المسلمين وإيقاظ هممهم وعزائمهم، وتعليمهم كل علم ينفعهم، وإرشادهم إلى كل صلاح وإصلاح، وتهذيبهم بالأخلاق الراقية، ولعل هذا أشق النوعين وأفضلهما. وقسم فيه مقاومة الأعداء

وإعداد العدد لهم من كل وجه.) الجهاد جهادان: جهاد الكلمة وجهاد السيف، وجهاد الكلمة والبيان أعظم من جهاد السيف.

لذا أولوا العزم أمروا جميعًا بجهاد الكلمة، أما جهاد السيف فأمر به موسى -عليه السلام- وقومه فلم يستجب له قومه، وأُمر به النبي -صلى الله عليه وسلم- وقومه فاستجاب له قومه.

أما إبراهيم -عليه السلام- وموسى -عليه السلام- ونوح -عليه السلام- لم يُؤمروا بجاهد السيف، فجهاد الكلمة أولى من جهاد السيف مع أهمية جهاد السيف، فكل الأنبياء والمرسلين مجمعون على جهاد الكلمة بخلاف جهاد السيف، ومنذ أن بعث الله النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد بعثه على جهاد الكلمة، أما جهاد السيف ما شُرع إلا بعد ذلك وعلى مراجل لما انتقل إلى المدينة وتقوى -صلى الله عليه وسلم-.

قوله: (لا تكن يا هذا أرذل ممن قال الله فيهم}} :تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا] {{آل عمران: ١٦٧]) أي كحال هؤلاء المنافقين الذين قيل لهم: تعالوا قاتلوا أو على أقل تقدير دافعوا مع إخوانكم وكثروا سوادهم، وقد ذمهم الله بهذا.

فكيف بمن يخذل المسلمين في وقت حاجة المسلمين إليه.

قوله: (فكيف مع هذا تظاهر الأعداء الألداء؛ فهل رأيت ديناً خيراً من دينك؟!)

فإذن الكلام على الدين نفسه لا على أهل الدين.

فقال له ذلك المنقلب :الأمر كما ذكرت لك ونفسي تَتُوق إلى أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعات، وألفوا السياسات الراقية والحضارات.

فقال له صاحبه وهو يحاوره :أرفضت ديناً قيماً كامل القواعد نير البرهان يدعو إلى الخيرات، ويحث على جميع طرق السعادة والفلاح، ويقول لأهله: هلموا إلى الفلاح والنجاح! هلموا إلى دين عظيم مبني على الحضارات الصحيحة الراقية التي بنيت على العدل والتوحيد وأسست على الرحمة والشفقة على الخلق والحكمة وأداء الحقوق ومنع الظلم من جميع الوجوه والحقوق.

دين شمل بظله الظليل وخيره الكثير الطويل وإحسانه الشامل وبهائه الكامل ما بين المشارق والمغارب، واعترف بذلك الموافق والمنصف المخالف؛ أتتركه يا هذا لحضارات ومدنيات زائفة مبنية على الكفر والإلحاد، مؤسسة على الجشع والطمع وظلم العباد، فاقدة لروح الإيمان ورَوْحه ورحمته، حضارة ظاهرها مزخرف وباطنها خراب، وتظنها تعميراً للوجود وهي حقيقة الهلاك والتدمير؟!

ألم تر آثارها وما جلبته للعباد من الهلاك والفناء؛ فهل سمع الخلق منذ أوجدهم بمثل هذه المجازر البشرية والفوضى المادية؟! فهل أغنت عنهم مدنيتهم وحضارتهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك؟! وما زادتهم غير تتبيب؛ فلا يخدعنك يا هذا ما ترى من المناظر والزخرفة والأقوال المموهة والدعاوي والدعايات الطويلة

العريضة التي أخذت بقلوب الرعاع الهمج، فانظر إلى بواطن الأشياء ولا تغرنك الظواهر، وتأمل النتائج الوخيمة؛ فهل أسعدتهم هذه الحضارة في دنياهم التي لا يرجون حياة غيرها فضلاً عن أخراهم؟! ألم ترهم ينتقلون من شر إلى شرور ولا يسكنون في وقت قليل إلا وهم يتحفزون إلى الطامات؟! ثم هب أنهم متعوا في حياتهم بالعز والرياسات ومظاهر الحياة؛ فهل إذا انحزت إليهم وواليتهم يشركونك في حياتهم ويجعلونك كأحدهم؟

كلا والله، إنهم إذا رضوا عنك بمظاهرتك إياهم جعلوك من أخس خدامهم وأقذر أجرائهم، يقضون بك وطراً، ويجعلونك مصيدة لهم يصطادون بها كل من لا بصيرة عنده؛ فالله الله يا هذا في دينك! والله الله في مروءتك وأخلاقك وأدبك وفي بقية رمقك! فالانضمام إلى هؤلاء هو والله الهلاك.

فلما سمع هذا الكلام وتأمل جميع الوسائل التي تنال بها الأغراض من أولئك الأقوام؛ فإذا هي مسدودة؛ فلا دين ولا دنيا، ولا راحة قلب ولا بدن ولا سلامة، عرف أنه من المغرورين، وأن الواجب عليه متابعة الناصحين، وأن الرجوع إلى الحق الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة خير من التمادي على الباطل الذي يحتوي على الضرر العظيم؛ فقال لصاحبه : كيف لي بالرجوع، وأنّى لي وقد انحزت إلى أولئك النزوع؟ فقال له صاحبه: ألم تعلم أن من أكبر فضائل الإنسان أن يتبع الحق الذي تبين له ويدع ما هو عليه من الباطل، وأن الموفق الحازم هو الذي إذا وقع في الهلاك سلك

كل وسيلة توصله إلى النجاة والفكاك وتخلّصه مما وقع فيه الأشراك؟ واعلم أنه كلما ذاق العبد مذهب المنحرفين وشاهد ما فيه من الغي والضلال، ثم تراجع إلى الحق الذي هو حبيب القلوب كان أعظم لوقعه وأكبر لنفعه؛ فارجع إلى الحق ثابتاً، وثق بوعد الله أن الله لا يخلف الميعاد.

فقال :الحمد لله الذي أنقذنا بلطفه وحسن عنايته من الهلاك والشقاء، ومنَّ علينا بالسعادة والهدى؛ فنسأل الله أن يتم علينا نعمته ويثبتنا عليها.

فقال له الناصح :يا أخي! وأزيدك بياناً عما ذكرت لك أن هذه المظاهر التي تراها من الكفار قد نبهنا الله عليها في كتابه، وأخبر عنها وحذرنا أن نغتر بها، قال تعالى : }}لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلاَدِ *مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ] {{آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٧] ؛ فهذا الاغترار مصيدة لهم وللجاهلين بأحوالهم، وقد أرانا الله من أيامه ووقائعه فيهم ما فيه عبرة للمعتبرين وموعظة للمتقين. والحمد لله رب العالمين.

قوله: (فقال له ذلك المنقلب :الأمر كما ذكرت لك ونفسي تَتُوق إلى أولئك الأقوام الذين أتقنوا الفنون والصناعات، وألفوا السياسات الراقية والحضارات) إذن أبى أن يقبل الحجة فانتقل إلى الهوى وأنه يريده لأجل دنياهم، فيريد أن يُبيِّن له العلامة

ابن سعدي -رحمه الله تعالى- أنك حتى لأجل دنياهم لو أتيت معهم لن يكرموك بل سيجعلوك في المؤخرة وخادمًا لهم.

قوله: (**أتتركه يا هذا لحضارات ومدنيات زائفة مبنية على الكفر والإلحاد، مؤسسة على الجشع والطمع وظلم العباد، فاقدة لروح الإيمان ورَوْحه ورحمته، حضارة ظاهرها مزخرف وباطنها خراب، وتظنها تعميراً للوجود وهي حقيقة الهلاك والتدمير؟!**) وقد صدق -رحمه الله تعالى-، فلو تأملت هذه الحضارة الأوربية فصحيح أن عندهم تطورًا في الجوانب الصناعية، لكن انظر إلى الجوانب الأخرى، إلى جانب الأسرة تراهم دمروا الأسرة تدميرًا عظيمًا، مجرد أن أضعفوا ولاية الرجل على امرأته وأصبحت المرأة ندًا للرجل دمروا الأسرة.

والدولة العظيمة قائمة على الأسرة، فالأسرة قائمة على فردين، ثم الدولة قائمة على أسر، فلذلك فككوا هذه الأسر بأن أضعفوا جميع المعالم.

ثم ترى الرجل يعيش مع غيره عيشة المصلحة، حتى إن الزوجين إذا اجتمعا في بيت واحد كل واحد منهم يقوم بنفقته، تراهم في بلاد الغرب هذا الخبز للمرأة وهذا الخبز للرجل، هي تأكل من خبزها وجبنها وهو يأكل من خبزه وجبنه، كلٌ يعيش حياته.

ثم ترى العلاقات الجنسية الفاسدة زادتهم فسادًا، قد رأيت هناك شيئًا عجيبًا، كنت مرة أسير مع بعضهم فنظرنا في مكان واسع كالبر، عند الطرق، فرأيت رجالًا قد كشفوا صدورهم على حالة مزرية، فقلت: من هؤلاء؟

قال: هؤلاء رجال قد انغرقوا في المخدرات وأصبحت هذه حالهم.

ثم أتينا إلى محطات الوقود، فلم نر من يعمل إلا النساء، فسألت: لمَ؟

قال: لأن هذه النساء يأتي ويُعاشرها هذا الرجل، فيأتي منها بولد، ثم يُعاشرها الثاني فيأتي منها بولد، ثم الثالث، فيكون عندها ثلاثة أولاء وأربعة أولاد، وهي المسؤولة عنهم، وقد تركهم آباءهم، فهي تعمل الليل والنهار لتُنفق على هؤلاء الأولاد، ثم إذا بلغوا حدًا معينًا من العمر تركوها وذهبوا.

فحياتهم حياة قد دُمرت بجميع معاني الدمار، فلذلك إذا رأيت حياتهم الاجتماعية رأيت العجب العجاب.

أما من جهة الأمور المادية المالية فاقتصادهم قائم على الربا، على الطبقية التامة، ما بين غني كسول لا يعمل أو فقير يكدح الليل والنهار والدين يزداد عليه يومًا بعد يوم، هذه هي نتيجة الربا.

وهكذا تجد حياتهم حياة عجيبة، والله إنك تراهم في الطرقات كالبهائم بل إنهم يفعلون شيئًا قد لا تفعله بعض البهائم، انتهت حياتهم، لذا ترى دور العجزة قد

امتلأت، لأن المرأة -أجلكم الله- كالمرحاض، بما أنها في زهرة عمرها وبالإمكان أن يُتلذذ بها فهم يتعاقبون للتلذذ بها، ثم إذا انتهى هذا الأمر رُميت ولم يُلتفت إليها، لذا تجد كثيرًا منهم يُربي الكلاب ويتعلق بالكلاب، بل بعضهم كتب وصيته لكلبة أو لكلب.

كلبه هو حياته، لم يجد من يعش معه ولا أوفى منه من كلبه، فليل نهار يعيش مع هذا الكلب، هم حياتهم تعيش دمارًا، والله لما حصل جلوس مع بعضهم وتحدثه عن الإسلام والله لا يُصدق، بعضهم لما رأى المسلمين فقط يجتمعون على وجبات ويأكلون ويتضاحكون تأثَّر فأسلم، لأنه لا يعرف هذا في بلاده، حياتهم قائمة على الجشع والمادية.

ولما انتهيت من رحلة مع الشيخ حمد العتيق -جزاه الله خيرًا- واجتمعنا بالمسلمين، وسألنا كثيرًا منهم لماذا أسلمت؟ كثير منهم يقول: رأيت الألفة بينكم وهذا لا يوجد عندنا، فنحن نعيش حياة مادية محضة، كلٌ يجمع لنفسه ويأكل لنفسه، أما أنتم تجتمعون وتتضاحكون وبينكم الألفة والعشرة.

أما أحدهم فأبهرني جوابه، فقال: أسلمت إعجابًا بالتوحيد، لما سمعت التوحيد هذا العجيب أسلمت.

والله يا إخواني هذا الرجل: سيرته خمار، وزوجته تضربه بالليل والنهار، لكن هداه الله، فيقول أحسن ما أعجبني في الإسلام التوحيد، أن قلبك لا يتعلق إلا بواحد، وهذا الواحد بيده كل شيء، وإرضاؤه سهل، وإذا أرضيته فزت.

والله يا إخواني رجل لا يتكلم بالعربية ولا عرف الإسلام إلا في خلال عشرة أيام وهذا جوابه.

فالمقصود أن حياتهم حياة عجيبة، لذا لما فُتح المجال في بريطانيا وأمريكا للدعاة المسلمين أن يدخلوا السجون ويدعوا الكفار، أسلم أعداد كبيرة للغاية، هم محتاجون، ثم يأتيك من يأتي من المسلمين فتكون نظرته سطحية بل رقيقة هزيلة وينظر إلى جانب تقدم أو حضارة، ثم يدع أمثال هذه الأمور، وسيأتي الكلام عن التقدم والحضارة في الصناعات ونحوها -إن شاء الله تعالى-.

قوله: (**ألم تر آثارها وما جلبته للعباد من الهلاك والفناء؛ فهل سمع الخلق منذ أوجدهم بمثل هذه المجازر البشرية والفوضى المادية؟!**) كم مات في الحرب العالمية الأولى والثانية؟ ملايين! أعداد ضخمة! هذه هي نتيجة ما سموه بالحضارة والتقدم.

ثم يخادعون الناس بحقوق الإنسان، وهم أبعد الناس عن حقوق الإنسان، أين هم عن حقوق الإنسان في الأمور المالية؟ وقد امتلأت وغرق الناس بالديون والطبقية بسبب هذا الربا؟

أين هم عن حقوق الإنسان في إقصاء المرأة المسكينة التي أصبحت كالمرحاض وهي قائمة على الأولاد دون الرجل؟

أين هم في حقوق الإنسان في النظر إلى حروبهم التي أقاموها، ما إن تعادوا بينهم إلا وأباد بعضهم بعضًا بالملايين في الحرب العالمية الأولى والثانية؟

ثم بعد ذلك فيمن ليس من قومهم من الدول الأخرى، كم أبادوها وهم ينادون بحقوق الإنسان؟

فهي دعايات لا حقيقة لها، وإنما ينخدع بها الرجل السطحي.

قوله: (**ثم هب أنهم متعوا في حياتهم بالعز والرياسات ومظاهر الحياة؛ فهل إذا انحزت إليهم وواليتهم يشركونك في حياتهم ويجعلونك كأحدهم؟**) إحدى النساء التي هربت إلى بلاد الغرب بزعم الحرية ...إلخ، أُجري معها لقاء قبل فترة، قالت: والله كنت في بيت أبي منعمة، كان يعطيني كل شهر ثلاثة آلاف ريال، وأنا الآن أعمل منظفة وعاملة خادمة في مطعم، والراتب الذي آخذه أقل من الذي كنت آخذه من أبي في بيتي.

فقد هربت من السعودية، فتشتكي وتقول: ما وجدت شيء، تصوروا أنها خرجت من عز وتكريم إلى أن تُصبح عاملة نظافة في مطعم، بهذا الزخرف الذي خُدعوا به، وأسأل الله أن يُعافيني وإياكم.

قوله: (**وأن الواجب عليه متابعة الناصحين، وأن الرجوع إلى الحق الذي فيه سعادة الدنيا والآخرة خير من التمادي على الباطل الذي يحتوي على الضرر العظيم؛ فقال لصاحبه :كيف لي بالرجوع، وأنّى لي وقد انحزت إلى أولئك النزوع؟ ...**) ما أكثر الذين تركوا الحق فلما أرادوا الرجوع إليه أبوا كبرًا.

لذا ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كتابه (بيان تلبيس الجهمية) وابن القيم في كتابه (مدارج السالكين) أن أكثر كفر بني آدم ليس جهلًا، أكثر بني آدم الذين كفروا ليس هذا لجهلهم، وإذا أردت أن تتحقق من هذا اقرأ أوائل سورة البقرة وحال بني إسرائيل، كم أظهر الله لهم الحجج والبراهين لكن أبوا.

فلذلك هو يقول: أنا اقتنعت بكلامك، لكن كيف لي أن أرجع عن هذا الأمر الذي عُرفت به واشتهرت به؟

أسأل الله أن يغفر للعلامة ابن سعدي -رحمه الله تعالى-، لكن أريد أن أشير إلى أجوبة منها ما ذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- في الجواب على شبهة أن هؤلاء عندهم تحضرًا وتقدمًا في الصناعة ...إلخ، فيدل على خطأ الإسلام وصحة ما هم عليه من الأديان.

والجواب على هذا من أوجه:

- **الوجه الأول**: إن هناك فرقًا بين المسلمين وبين الإسلام، ومن أراد أن ينتقص الإسلام فليرجع إلى معالمه وأسسه ونظامه، لا أن ينتقده بالنظر إلى القائمين

به، فإن القائمين به أصناف وأجناس، منهم من يقوم به تمامًا ومنهم من يُخالفه في كثير من الأمور، والناس متباينون في ذلك، لذا من أراد أن ينقد شيئًا فلينظر إلى نظامه لا إلى الأفراد.

- **الوجه الثاني**: إن المسلمين كانوا متقدمين في باب الصناعة، بل إن أكثر الصناعات الموجودة عند الغرب اليوم أصلها مأخوذ من المسلمين، فلو كان الإسلام يتنافى مع هذا لما كان المسلمون متقدمين، بل الغرب إلى قبل مائة سنة تقريبًا أو أكثر كانوا ينظرون لبلاد المسلمين لاسيما لمصر ينظرون إليها نظرة تقدم وتطور وتحضر، لما يرونه من الاختراعات والتقدم عندهم، فهذا ليس بعيدًا.

فلذلك المسلمون مرت عليهم أزمان وقرون هم متميزون بهذا، فهذا يدلك على أنه لا يصح أن يُقال إن الإسلام سبب للتخلف، لو كان كذلك لما اتصف المسلمون بالتقدم في قرون مضت.

ثم في المقابل لا يُقال إن الكفر والإلحاد سبب للتقدم، فإنه لو كان كذلك لكان الكفار في أزمانهم الماضية كلها متقدمين في صناعاتهم وغيرها، والواقع على خلاف ذلك.

- **الوجه الثالث**: من أين يُقال إن الإلحاد سبب للتطور؟ من أي مبدأ أو دليل أو برهان؟

من قال سأترك الإسلام لأني رأيت المسلمين على خلاف ذلك، فيقال: لنفترض أنك تقول أريد أن أكون ملحدًا، فما الدليل والبرهان على أن الإلحاد سببٌ للتقدم والتطور؟ لا يوجد في مبادئه ولا في أصوله دعوة إلى التقدم والتطور، وإنما يوجد شيء واحد وهو إنكار الخالق.

بخلاف الإسلام فإن مبادئه ظاهرة في الدعوة إلى التقدم والتطور في أمور الدين والدنيا.

- **الوجه الرابع**: إن من أراد أن ينظر إلى التطور الذي عند الغرب ينبغي أن يكون شموليًا كما تقدم الكلام في ذلك، فلا ينظر فقط إلى الصناعات، بل ينظر إلى جوانب الحياة الأخرى التي تقدم الإشارة إليها، كالحياة الاجتماعية والمالية إلى غير ذلك.
- **الوجه الخامس**: أن الأدلة العقلية كثيرة ومتواردة ومتكاثرة على وجود الله، فكيف يستطيع أن يردها لأن التطور والتقدم وُجد عند غيرهم؟ ليس بين الأمرين تعارض.

من قال إن الإيمان بوجود الله معناه يتنافى مع التقدم والتطور؟

لذا هذه الشبهة لا ينبغي أن يُلتفت إليها، ومثلها شبهة أخرى وهي أن يقال: إنني رأيت إلى أخلاق المسلمين فوجدت فيهم تخلفًا، ونظرت في أخلاق الكافرين فوجدت فيها تقدمًا وتميزًا.

فالجواب على هذا أن يُقال: أولًا لا يُسلم بهذا، من قال إن أخلاق الكافرين متقدمة؟ نظرت إلى جانب وأنهم إذا واعدوك في الموعد الفلاني جاؤوا في نفس الموعد.

فقط في ذلك؟ مع أني قد زرتهم في بلادهم لأسباب وتواعدت مع كثيرين منهم فوجدت أننا أحسن منهم في هذا، لكن لنفرض أنهم كذلك وأنهم في المواعد أهل دقة للغاية، أيصح لعاقل أن يُفضل قومًا لأنهم تميزوا في شيء ويدع أشياء كثيرة للغاية؟ أين هم في الأخلاق؟ أين هم في الأمور المادية؟ أين هم في المروءة؟ أين هم من الكرم والتضحية؟ أين هم في صدق الوفاء للأخ وللصاحب وللأم وللأب؟ أين هم في صلة الأرحام؟ أين هم في بر الوالدين؟ أين وأين ...إلخ؟

لماذا يكون الناظر قاصرًا وجزئيًا وينظر إلى جزء ويدع أشياء كثيرة؟

ثم يقال: الأخلاق الحسنة من الإيفاء بالوعد ...إلخ، فقد أتى بها الإسلام، فكون كثير من المسلمين قصَّر في هذا فهو لا يرجع على الإسلام بالذم، إلى غير ذلك من الأوجه التي قيلت فيما سبق.

ثم أخيرًا؛ إن أسباب الإلحاد كثيرة ولا يمكن أن تُحصر، لكن تقدمت الإشارة إلى بعضها، ويؤكد ذلك أن عقول بني آدم متفاوتة، وأقرب هذا بشيء وقع عمليًا:

يوجد ممثل كبير في دولة مصر، رأى نفسه مشهورًا وله مكانة، والناس تشير إليه بالبنان، فاغترَّ وأصيب بالكبر والزهو، فألحد، وظن أنه شيء فألحد.

وهذا موجود معه لقاء باليوتيوب، فلما ألحد ومرَّت السنون على ذلك أُصيب بيته بحريق فاحترقت أفلامه التي سجلت تمثيله، فأصبح لا شيء، قال: فلما رأيت نفسي لا شيء علمت حقارة نفسي وضعفي، فرجع وأسلم.

يعني هذا سبب سمج وساقط، لكن هذا الواقع، فإذن أسباب انحراف بني آدم سواء في الإلحاد أو غيره لا يكاد أن يُحصر، فهو متفاوت لتفاوت عقولهم، فالرجل لما اشتهر ألحد؟ ما علاقة الشهرة بالإلحاد؟

لكن المقصود هذا وقع وهو يتكلم عن نفسه وله مقابلة تكلم فيها عن نفسه.

فلذا يهمني أن نعرف ما يلي:

- **الأمر الأول**: أن نحمد الله على نعمة التوحيد والسنة، والله مهما خاض الناس بعقولهم فالنتيجة ليس لك إلا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وهذا يذكرك بصنيع شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- مع هؤلاء المتكلمين لما عاركهم بعقولهم وبيَّن ضعف حججهم العقلية أرجعهم إلى الكتاب والسنة، وأنه لا نجاة إلا بها وأنها هي الحق المحض وما عداها حجج عقلية لا وجود لها.

- **الأمر الثاني**: من فُتح له في باب مواجهة هؤلاء الملحدين فهذا باب من أبواب الدعوة وهو باب خير، فإن كان أيضًا في مواجهة من أحد من المسلمين ففيما أظن وأدعو نفسي وإخواني ألا يُبالغوا في هذا، وألا يجعلوه ظاهرة، كما ترى مثلًا في بعض رجال الحسبة الذين يعملون في القضاء على المنكرات الشهوانية، من كثرة ما يرى يجعل ذلك ظاهرة، لأنه لا يرى إلا هذا الجانب، ومثله مثل رجال الشرط الذين يقبضون على المجرمين، يجعلون هذا ظاهرة، وهكذا كل إنسان يُعايش شيئًا.

فالمقصود أن أمثال هذه الجرائم قد تكون ظاهرة وقد لا تكون ظاهرة، لكن إذا نظرت إلى عدد المسلمين وأحوال المسلمين علمت أنه لا شيء بالنسبة إلى حال المسلمين.

فأعداد لا تُحصى تنتقل من النصرانية وغيرها إلى دين الإسلام ولله الحمد، فإذن لا ينبغي أن تُجعل ظاهرة.

- **الأمر الثالث**: أن تكون على بصيرة وبيِّنة بهؤلاء الذين دخلوا هذا الميدان وسلكوا طريقًا يُوقع في الإلحاد بزعم محاربة الملحدين، كما هي طريقة عدنان إبراهيم وطارق السويدان وأمثالهم، فإنهم سلكوا هذه المسالك فأضروا أكثر مما نفعوا لأنهم لم يسلكوها على الطريقة الشرعية، وإنما سلكوها على طريقة المتكلمين وغيرهم أن الأصل الشك.

والله أول ما بلغني عن عدنان إبراهيم أنه يقول الأصل أنك تشك في إسلامك ما صدقت، حتى سمعته بأذني.

ثم شككت فيما سمعت، يدعو الناس أن يشكوا في دينهم بالشبهات المتهافتة التي تقدم ذكرها.

فأسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يُحينا على التوحيد والسنة، وأن يميتنا على ذلك، وأن يثبتنا على دينه حتى نلقاه راضيًا عنا، وجزاكم الله خيرًا.

***